يزيد بن معاوية(٦٠ – ٦٣هـ/ ٦٨٠ – ٦٨٣ م)

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي ولد عام سنة وعشرون للهجرة أثناء ولاية والده على بلاد الشام في خلافة عثمان . وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية تزوجها معاوية قبل أن يلي الخلافة .

نشأ يزيد في البادية في كنف أمه التي تركت زوجها لأنها لم تحتمل الحياة في دمشق، فشب فصيحاً وشاعراً حتى قالوا ابتدئ الشعر بملك وتختم بملك، إشارة إلى امرىء القيس وإليه حرص معاوية على تعليم ابنه التواضع والعدل ومكارم الأخلاق، وفن التعامل مع الناس، حتى يتحبب إليهم وتتوثق الصلات بينه وبينهم، وعندما آلت إليه الخلافة أخذه بالحزم، وحرص على أن يعهد إليه ببعض الأعمال الكبيرة لتدريبه على العمل وإكسابه الجدية، وتعريف المسلمين ،به وتهيئته للمنصب الذي كان بعده له، وهو منصب الخلافة فقد أغزاء الروم، فأسند إليه قيادة الجيش الرديف الذي أرسله لفتح القسطنطينية في عام (٤٩هـ/ ٦٦٩م) كما أثره على الحج. وعندما قرر أن يعهد إليه بالخلافة أخذ يحمله على حياة الجد والحزم، وراح يعظه برفق لترك حياة الترفوالنعومة ليؤهل نفسه للمنصب الذي ينتظره), وحدد له السياسة الواجب تنفيذها في كيفية حكم الدولة وإدارتها، ومعاملة الناس لقد حاول يزيد تنفيذ فحوى وصية والده عندما تسلم الحكم، وهي تعتبر من أهم الوثائق في فن الحكم والسياسة والإدارة والتعامل مع الناس. وعندما مات معاوية، بايع الناس يزيد بالخلافة، في حين تخلف عن البيعة من أهل الحجاز كل من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير اللذين التجآ إلى مكة .

وهكذا تسلّم يزيد الخلافة في دولة واسعة الأرجاء، غنية، ومعقدة السياسة، لم يبذل جهداً في تشييدها. وقد أقبل على الملك دون أن ينصرف نهائياً عن لذاته، واثقاً بأن الأمور ستجري وفق مشيئته, وكان يرى أن طاعته حق على الناس جميعاً، فمن عصى فليس له عنده إلا السيف.

الأحداث السياسية الداخلية في عهد يزيد

أ – مأساة كربلاء :

واجهت يزيد خلال مدة حكمه ثلاث قضايا على جانب كبير من الخطورة. تمثلت الأولى بخروج الحسين بن علي إلى الكوفة تلبية لدعوة أهلها ليقودهم ضد الحكم الأموي، في حين تمثلت الثانية بخروج أهل المدينة على حكمه، وتمثلت الثالثة بقيام ابن الزبير في مكة .

الواقع أن استلام يزيد بن معاوية للخلافة شكل صدمة عنيفة لأهل العراق الذين عانوا من وطأة الشدة في أيام معاوية، ثم بلغهم رفض الحسين بيعة يزيد، والتجاؤه إلى مكة؛ وشجعهم تغاضي الوالي الأموي في الكوفة، وهو النعمان بن بشير، فتنادوا إلى تشكيل جبهة معارضة .

واجتمعت الفئات المؤيدة للاتجاه العلوي في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، في وقت بدت فيه الكوفة وكأنها بدون سلطة والفقوا على أن يكتبوا للحسين يستقدمونه ليبايعوه، وقد حددوا موقفهم السياسي وهو خلع يزيد ورفض الاعتراف بالنظام الوراثي الذي أضحى أمراً واقعاً بعد إعلان خلافته، ولتحقيق هذه الغاية ورد عليه أول كتاب من قبل سليمان بن صرد وجماعة منشيعة الكوفة، فيه شرح لما آلت إليه الأوضاع السياسية داخل المدينة، وأبدى سليمان استعداده للاستيلاء على السلطة في حال قبوله بالقدوم إليهم واستخدم في كتابه مصطلحات مثل الإمامة والخلافة والمهدية، وهذا يدل على أن تطوراً عقدياً مهماً طرأ على المجتمع الكوفي، وبالتالي على حركة الشيعة كمذهب (وورد عليه في اليوم التالي، رسولان يحملان خمسين كتاباً من أشراف أهل الكوفة، ثم تتابعت الرسل بالوفود إلى مكة تدعوه للمضي إلى الكوفة، وتولي القيادة في العراق، وقد تضمنت الاقتراح عليه الخروج على حكم يزيد) وشعر الحسين بالتردد، في بادئ الأمر، فقد ظل بعيداً عن السياسة منذ مقتل والده إلا أنه حمل في طيات نفسه شعوراً بأحقيته بالخلافة، لكن الرسائل استمرت في الوصول إليه من الكوفة تحثه على وجوب التحرك السريع، وتعده بالمؤازرة العسكرية، حتى منحها أخيراً كثيراً من عنايته .

اعتكف الحسين في منزله وانكب على دراسة القرار الصعب الذي لا بد من اتخاذه،فالبقاء في مكة لم يكن غير تدبير مؤقت لأن الأمويين أن يدعوه في مأمن حتى يبايع يزيد وإذا كان الاختيار أضحى أمراً لا مجال للبحث فيه، فإن استكمال دراسة الموقف في العراق كان ضرورياً قبل الموافقة النهائيةانطلاقاً من هذا الشعور مالت نفس الحسين إلى تلبية هذه الدعوة، لكنه أثر أن يستقصي أمر هؤلاء الناس فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليتحقق بنفسه من صدق مشاعرهم، وليقف على حقيقة الأمر، فإن آنس منهم نية صادقة وعزيمة على الخروج وإخلاصاً لآل علي أخذ منهم البيعة سراً، حتى إذا رأى أن قد بايعه منهم من يستطيع أن ينهض بهم إلى ما يريد من خلع يزيد، كتب إليه بذلك ليرحل إلى الكوفة . ثم رد على أهل الكوفة بكتاب واحد دفعه إلى رسولين منهم يخبرهم فيه بنيته توجه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، واستقبل حين وصوله إليها، في (الخامس من شهر شوال عام ٦٠هـ/ شهر تموز عام ٦٨٠ م) استقبالاً حماسياً من شيعة بني هاشم، وأقسم بين يديه منهم اثنا عشر ألفاً وقيل ثمانية عشر ألفاً إخلاصاً للحسين وشجعه على المضي في مهمته تغافل والي الكوفة النعمان بن بشير عنه، وعدم التعرض له، حتى إذا استوثق من أهل الكوفة، جعل

يأخذ البيعة عليهم للحسين، فكون صورة إيجابية عن الوضع العام ما لبث أن أرسل بتقرير عنها إلى مكة يحث فيه الحسين علىالمجيء فور) في هذه الأثناء، تحرك أنصار الأمويين بعد ما أبدى بشير بن النعمان اعتدالاً، ورفض التجاوب معهم للقضاء على الحركة المعارضة مما دفعهم إلى رفع تقرير إلى الخلافة بدمشق يبين خطورة الوضع.

وسارع يزيد إلى عزل النعمان، وعين عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة بالإضافة إلى البصرة، وهو أحد الولاة الملصفين بالقوة، وأمره بالقضاء على مسلم نهض عبيد الله بالأمر في حزم لا يعرف اللين ولا التردد واستطاع أن يضبط الأمور في الكوفة بسرعة عن طريق إثارة النعرات القبلية ثم راح يتعقب مسلماً سراً وعلانية . فخاف مسلم على نفسه واحتمى بدار هاني بن عروة المرادي المذحجي، وهو من أشراف الكوفة وأخذ الشيعة يترددون إليه في داره، فكان مسلم يبايع من أتاه منهم، ويأخذ عليهم العهود والمواثيق المؤكدة بالوفاء. وعلم عبيد الله، عن طريق جواسيسه، أن مسلماً يقيم بدار هانئ، فاستدعاه وطلب منه تسليمه إياه، فامتنع عن ذلك ، عندئذ قبض عليه وسجنه . وأقام، في الوقت نفسه، الحراس حول الكوفة ليراقب حركة الدخول إليها والخروج منها، وهذا يعني أن الإدارة الأموية علمت بأمر الحركة وكانت على بينة بمغادرة الحسين للحجاز في طريقه إلى الكوفة وعندما علم مسلم بسجن هانئ، دعا من بايعه من الشيعة، حتى إذا تجمعوا لديه تقدم بهم إلى قصر الإمارة وحاصره. فأرسل إليهم عبيد الله يخوفهم المعصية ويهددهم بالعذاب، فتفرقوا عنه، فلما ألفى نفسه وحيداً اختفى في أحد دور بني جبلة من كندة، لكن وشي به لدى الوالي الذي ألقى القبض عليه وقتله، كما قتل هاني ابن عروة. وافق يزيد على هذا التصرف، وكتب إلى واليه رسالة يقول فيها : بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة، غير الأتقتل إلا من قاتلك) .

تثبت هذه الرسالة، بشكل واضحأمر الخليفة لعبيد الله بن زياد في أن لا يقاتل الحسين وأصحابه إلا إذا قاتلوه" ويبدو أن مسلماً راح ضحية تسرعه وعدم تثبته من ولاء أهل الكوفة، كما أن النعمان بن بشير يتحمل نصيباً مما حدث، وذلك بتغاضيه عن تحركاته، ولو صده عن الاتصال بالكوفيين لكان قد فكر بالأمر، ولم يبادر إلى طلب قدوم الحسين .وعندما وصلت رسالة مسلم إلى الحسين، قرر الرحيل إلى الكوفة بالرغم من نصيحة عبد الله بن عباس وغيره من المحبين له الحريصين على سلامته بعدم تلبية الدعوة لأن السلطة فيها ما زالت أموية مع الأخذ بعين الاعتبار قضية التوازن القبلي فيها، وكون الذين راسلوه كانوا يمانيين، بالإضافة إلى أن أهلها قوم غدر، ولهم سوابق في ذلك . واقترح عليه ابن عباس إن هو أصر على الخروج إلى الكوفة أن لا يذهب إليها حتى يثور أهلها على أميرهم ويطردوه وبذلك يصبحون ملتزمين بالعمل إلى جانبه، كما نصحه بأن

يذهب إلى اليمن فيتحصن بقلاعها وشعابها ويحتمي بشيعة والده فيها .لكن الحسين تجاهل كافة النصائح، فخرج في أهله وقلة من أصحابه في التاسع من ذي الحجة عام ٦٠هـ شهر أيلول عام ٦٨٠م) متوجهاً إلى الكوفة. وكان ابن الزبير هو الوحيد الذي دفعته مصلحته إلى تشجيعه على الذهاب وهكذا، في الوقت الذي تحرك فيه الحسين باتجاه العراق، كان عبيد الله يضرب شيعته ويطاردهم. وشهدت الكوفة انقلاباً مضاداً للحركة، وإذا بالظروف تتحول المصلحة الحكم الأموي، وفقد الحزب الشيعي تضامنه خاصة بعد إعدام اثنين من كبار زعمائه.

ويبدو أن مسلماً استطاع أن يقنع معتقله محمد بن الأشعث (بأن يرسل رسولاً يخبر الحسين بالتطورات السلبية وينصحه بالعودة إلى مكة. وفعلاً تلقى الحسين الرسالة في زبالة إلا أنه أثر متابعة طريقه، كما تلقى نصيحة أخرى في شراف من قبل أحد قادة عبيد الله وهو الحر بن يزيد االرياحويبدو أن الحسين اقتنع أخيراً بعدم جدوى متابعة طريقه إلى الكوفة، فهم أن يرجع، لكن إخوة مسلم بن عقيل أبوا عليه ذلك حتى يصيبوا ثأرهم، فنزل على رأيهم، إلا أنه أدرك أن كل شيء قد ضاع)، استأنف الركب رحلته باتجاه الشمال تحت مراقبة فرسان عبيد الله بن زياد حتى إذا وصل إلى كربلاء قابله عمر بن سعد بن أبي وقاص موفداً من قبل الوالي ومعه أوامر . وتلقى الحسين تعليمات الوالي القاضية بأن عليه أن يبايع يزيد، فأدرك عندئذ صعوبة الموقف، وعرض على عمر أحد الاقتراحات التالية : وإما السماح له بالذهاب إلى أحد الثغور النائية للجهاد ... مشددة بحسم االوض إما أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه, وإما أن يضع يده في يد يزيد ويعرض عليه قضيته، فيرى فيه رأيه.

ب- خروج أهل المدينة - وقعة الحرة :

تعود جذور الخلاف بين الحجازيين والأمويين إلى عدة أسبابلعل أهمها :ما أحدثه معاوية من تغيير في منهجية الحكم, فإن الكثيرين من الصحابةوالتابعين في المدينتين المقدستين، مكة والمدينة، كانت نقمتهم على نظام معاويةالوراثي ذات دلالة خاصة، حيث اعتبروا عمل معاوية في تحويل نظام الخلافة عنطابعه الراشدي بدعة تناقض نهج الراشدين وطبيعة الخلافة، اعتبر سكان المدينتين المقدستين أن صلتهم بالإسلام هي صلة أهل القضية التيارتبطت بحياتهم منذ ظهور الإسلام. من هنا كانت غيرتهم على قضية الإسلام ذات حساسية متميزة .

- موقف الشيعة من أنصار علي الذين ينكرون حق معاوية في الخلافة .

- عارضت بعض الفئات، من سكان المدينتين المقدستين، النظام الأموي لأسباب سياسية واجتماعية .

فمن الناحية السياسية كان طموح بعض أبناء الصحابة إلى الخلافة، كعبد الله بن

الزبير ، سبباً في سلوك النهج المعارض .

ومن الناحية الاجتماعية فإن انتقال مركز الخلافة من المدينة إلى دمشق قد أفقد الأولى مكانتها المركزية في العالم الإسلامي، وأفقد أغنياء الحجاز منافع كثيرة كانوا يجنونها من تلك المكانة المفقودة، كما شل نشاطهم الاقتصادي والسياسي وجعلهم في عزلة عن المسرح السياسي والاجتماعي, وكانت حادثة كربلاء الشرارة التي أشعلت الحرب وقد شكلت صدمة لأهل الحجاز، كما تركت آثاراً سياسية خطيرة في العالم الإسلامي.

واجه الخليفة هذا الموقف، في بادئ الأمر، بالهدوء، والأناة، منفذاً سياسة سلمية مرنة مع الخارجين على حكمه، فعزل والي المدينة الوليد بن عتبة الذي اتصف بالقسوة والخرق، وولى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو شخصية مرنة .

استهل الوالي الجديد عهده بالإحسان إلى المدينيين، ثم بعث بوفد منهم إلى دمشق لحل المشكلات القائمة. استقبل يزيد أعضاء الوفد استقبالاً حسناً، فأكرم وفادتهم، وعظم جوائزهم لكن يبدو أن اللقاء كان فاشلاً بدليل أنه ما إن عاد أعضاء الوفد إلى المدينة حتى تجددت الانتقادات الموجهة إلى يزيد، ثم أقدم أهلها على خلع طاعته، والراجح أن الذي أثار زعماء المدينة هو حقدهم على بني أمية، وحتى يعطوا تحركهم مبرراً طعنوا في سلوك يزيد، وحاول عبد الله بن عمر بن الخطاب تحذيرهم من الخروج على طاعة الخليفة، وتفريق كلمة المسلمين، كما جاهد في حث الناس على عدم الاشتراك معهم ومنع أهله وولده من فعل ذلك وخشي عثمان بن محمد، عامل يزيد، من محمد، عامل يزيد، من انتشار الفتنة في الحجاز بعد اشتداد حملة الانتقادات الصريحة ضد الخليفة التي وصلت إلى حد التجريح بشخصه، والطعن بسلوكه، وأعقبها موجة من السخط استهدفت الأمويين عامة، وفعلاً انتهى الأمر بإعلان خلع يزيد بن معاوية ومبايعة عبد الله بن حنظلة الأنصاري واضطر الأمويون المقيمون فيها إلى الاحتماء في دار مروان بن الحكم التي طوقها الثائرون ويبدو أن الحصار كان ضعيفاً، وأن الثائرين بالرغم من سخطهم، كانوا يفتقرون إلى التنظيم والوحدة، لكن سلطة الخليفة تعرضت على أي حال للتحدي، ولم يجد المعتكفون من بني أمية سوى الرضوخ والاعتراف بإعلان حكومة مؤقتة في المدينة، لكن بعضهم أصر على ولاته للحكم الأموي فتعرضوا للطرد منها وجاء الرد على أحداث المدينة سريعاً من قبل يزيد الذي لم يستطع تجاهل الخروج على حكمه لكنه رأى أيضاً أن يعالج الموقف بالحكمة، فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة ليدعو الناس إلى العودة إلى حظيرة الدولة، ولزوم الجماعة، إلا أنه فشل في ذلك عندئذ لم يكن أمام

يزيد إلا أن يواجه الناس بالحزم فبعث بجيش إلى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المري، يرافقه الحصين بن نمير السكوني وأعطى قائده أوامر مشدّدة بأن يدعو القوم ثلاثاً فإن استجابوا وإلا القتال).

وصل مسلم بن عقبة إلى المدينة في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة عام ٦٣هـ/ شهر آب عام ٦٨٣م ، وضرب عليها حصاراً من جهة الحزة، وأنذر أهلها ثلاثاً، لكنهم لم يستجيبوا، وقاوموه مقاومة ضارية.ويبدو أن المدينة استعصت على الجيش الأموي الذي لم يتمكن من اقتحامها ودخولها مما دفع بمروان بن الحكم إلى استعمال الدهاء والحيلة، فنجح في دخولها مع ثلاثة من الفرسان ثم تبعه الجيش الذي دخلها من ناحية الطورين ودار اشتباك بين الطرفين انهزم بنتيجته أهل المدينة وقتل عدد كبير منهم. وجلس مسلم بعدالانتصار، فدعا الناجين إلى البيعة على أنهم في وعبيد ليزيد، فبايع الناس ومن أبيقتل).

جـ حركة ابن الزبير:

تعد حركة ابن الزبير امتداداً لخروج أهل المدينة. وقد استغل ابن الزبير حادثةكربلاء، وخروج أهل المدينة والفراغ السياسي والقيادي الذي حصل بعد وفاة معاويةوالنقمة الشديدة على يزيد في العالم الإسلامي، ليقود حركة مسلحة ضد بني أمية منطلقاً من مكة ليعيد الخلافة إلى منبتها الأول في الحجاز ودعا أعيان أهل تهامة والحجاز إلى بيعته، فبايعوه جميعاً باستثناء عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية، ثم طرد عمال يزيد من مكة والمدينة .

حاول يزيد، في غمرة هذه الأحداث، التفاهم مع ابن الزبير، فعرض عليه ولاية الحجاز وما شاء، وما أحب لأهل بيته من الولاية، على أن يبايعه بالخلافة، لكن ابن الزبير رفض العرض عندئذ أصدر يزيد أمراً إلى مسلم بن عقبة بالتوجه إلى مكة للقضاء على حركته. وفعلاً توجه هذا القائد إلى مكة، وما كاد يصل إلى المشلّل حتى مرض وتوفي بعد أن عهد إلى الحصين بن نمير بقيادة الجيش، استأنف الحصين الزحف نحو مكة فوصلها في السادس والعشرين من شهر محرم عام ٦٤هـ/ شهر آب عام ٦٨٣ م) وضرب عليها حصاراً مركزاً بعد أن سيطر على جميع التلال والجبال المحيطة بها، ثم أخذ يضربها بالمنجنيق، وتولى الدفاع عن البيت الحرام جماعة من الخوارج النجدية، كانت المقاومة عنيفة بفعل خضوع المكيين لقائد واحد هو عبد الله بن الزبير، وانضمام خصوم الدولة الأموية إليه كالخوارج فضلاً عن المختار بن أبي عبيد الثقفي .

وبينما رحى الحرب دائرة أتى نعي يزيد فتوقف القتال، وأدرك الحصين، وهو أحد حكماء القادة العسكريين في الدولة الأموية، أن ورقة ابن الزبير ستكون الرابحة بعد ٥٦/٢٢٥ نف في دمشق

فرأى أن يأخذ البيعة له شرط أن ينتقل معه إلى دمشق. رض عليه البيعة على شرطه رفض ابن الزبير هذا العرض، مفوتاً فرصة ذهبية، وذهل الحصين من موقفه هذا وأشار بشيء من السخرية متهماً إياه بقصر النظر السياسي .

ويبدو أن ابن الزبير أدرك أن أهل الشام مخلصون لبني أمية، كما أن الحصين ليس بالقادر على التكلم بلسانهم جميعاً، ولذا لم يكن بوسعه الاطمئنان إلى وعوده. يضاف إلى ذلك أنه كان يرى في أهل الحجاز أنصاره وأعوانه، لذلك كان رفضه عن اقتناع منه حتى لا يصيبه ما أصاب الحسين من قبل . ثم حدث بعد ذلك أن رفع الحصين الحصار عن مكة وعاد إلى دمشق الواقع أن ابن الزبير كان المستفيد الأول من موت يزيد وارتباك الأسرة الأموية في معالجة النتائج السلبية التي انعكست عليها لكنه، وبالرغم من وجهة نظره، أضاع الفرصة التي أتيحت له لإنقاذ العالم الإسلامي من الحرب الأهلية، ثم أعلنت خلافة معاوية الثاني بن يزيد في غضون ذلك في دمشق بينما أعلن ابن الزبير نفسه خليفة في المدينة .

الأحداث السياسية الخارجية في عهد يزيد :

لم تحصل أحداث تذكر في حقل السياسة الخارجية والفتوحات في عهد يزيد باستثناء ما حصل على الجبهة الأفريقية التي شهدت تطورات سريعة ملفتة للنظر، ذلك أن القيادة في القيروان قد خضعت للمتغيرات السياسية في دمشق، وأن الخليفة يزيد كان على علاقة طيبة بعقبة بن نافع فعينه والياً على أفريقيا وعزل أبا المهاجر عنها وقد تم ذلك في عام (٦٢هـ/ 682م)، وبتعيين عقبة ابتدأت المرحلة الرابعة من مراحل فتوح شمالي أفريقيا . كان عقبة تواقاً إلى استئناف حركة الجهاد، لكن الظروف السياسية المحلية كانت قد تغيرت أثناء فترة عزله، فالبيزنطيون توصلوا إلى نوع من التفاهم مع بعض قبائل البربر الذين وجدوا في عقبة الشخصية الأكثر خطورة وتناقضاً مع نظامهم التقليدي بالإضافة إلى تهديد مصالحهم الاقتصادية والسياسية. وقرر عقبة التوسع غرباً فانطلق من القيروان غازياً على رأس جيش كبير، ومعه جموع من بربر أوروبة بزعامة كسيلة، ويرافقه أبو المهاجر وهو في حكم المعتقل، حتى نزل مدينة بجاية واشتبك مع البيزنطيين الذين تراجعوا إلى داخل المدينة واحتموا بها. لكنه لم ير تضييع الوقت في الاستيلاء عليها، ويبدو أنه لم يكن يطمع في السيطرة على القلاع بقدر ما كان يهدف إلى امتلاك زمام الأمور في الداخل مما يعطيه فرصاً أفضل لطرد البيزنطيين من شمالي أفريقيا فترك الحصار واتجه غرباً إلى إقليم الزاب الخصيب في المغرب الأوسط فاجتاحه وسيطر على عاصمته المسيلة. نتيجة لهذا التوسع، أضحت هذه الناحية مركز اً ثابتاً للمسلمين، بعد سهل أفريقيا الشمالي الذي تقوم فيه القيروان وتُعتبر سيطرة المسلمين على هذا الإقليم نقطة تحول حاسمة في حركة فتوح شمالي أفريقيا، لأنهم دخلوا إقليماً بربرياً من

أقاليم الداخل، وهيمنوا على منازل قبائل بربرية أشهرها لوانة وهوارة استأنف عقبة زحفه باتجاه تاهرت وتصدى لتحالف بيزنطي - بربري فيها وانتصر عليه وامتلك المدينة ، ثم انطلق إلى المغرب الأقصى ، فأخضع قبائله وامتلك طنجة وعند هذا الحد من التقدم، عاد علية أدراجه باتجاه القيروان تاركاً نفوذاً للبيزنطيين ما يزال قائماً، وموقفاً غير واضح لقبائل البربر. وكان الحلفاء، في غضون ذلك، يتعقبونه لاقتناص فرصة سانحة للانقضاض عليه، وجاءت هذه الفرصة من قبله، دون أن يشعر، نتيجة حادثين : أنه أساء معاملة حلفائه من البربر كسيلة وجماعته، مما دفعهم إلى القرار من معسكره وانضمامهم إلى أعدائه.

الثاني: أنه حدث أثناء عودته إلى القيروان أن سمح لأكثر فرق جيشه، بالانفصال عن جسم الجيش والعودة سريعاً إلى القيروان واستبقى معه خمسة آلاف مقاتل سار بهم إلى مدينة تهودة ليفتحها ، متخلياً عما تحلى به من الحذر، وما كاد علبة يقترب من تهودة، حتى ألقى نفسه مطوقاً من حشود بربرية وبيزنطية هائلة بزعامة كسيلة، فخاض معركة غير متكافئة انتهت باستشهاده مع عدد كبير من قوائه في أواخر عام ٦٤هـ وأوائل عام ٦٥هـ/ ٦٨٣ - ٦٨٤م والواقع أن معركة تهودة كانت كارثة على المسلمين فبالإضافة إلى استشهاد القادة انتاب الجنود المسلمين في القيروان حالة نفسية تركوا على أثرها المدينة، ودخلها كسيلة وبمقتل عقبة، تنتهي المرحلة الرابعة من مراحل فتوح شمالي أفريقيا .وفاة يزيد توفي يزيد بن معاوية لأربع عشرة ليلة خلت من (شهر ربيع الأول عام 14 هـ / شهر تشرين الأول عام ٦٨٣م)، وكان بحوران من أرض الشام، بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً .